# المعركة الديمقراطية في أمريكا

## الكولونيل شريل بركات

يحلم اللبنانيون منذ زمن بعيد بالحلول المعلبة التي تأتي من القوى العظمى صاحبة القرار، ودائما ما ييئسون سريعا، إذ يرون بأن لهذه القوى العظمى مصالح لا يمكنهم تلبيتها، ولذا فإن الحلول التي تأتي من هذه القوى غير مرجوة .

بعد أعوام على ما كان من تطورات القضية اللبنانية، رأينا بروز أمل بحل للبنان أتخذ شكلا يومها، في ١٩٨٢، باجتياح إسرائيل لمكنة عرفات العسكرية، وإخراجها من لبنان، وطرد سوريا إلى البقاع، ما كلفها، غير يوم الطيران المشهور الذي نكبت فيه بخمس وثمانون طائرة، حوالي العشرة آلاف قتيل، بحسب الرئيس الحسيني والرئيس بري من بعده، بقيت جثثهم تسلم على دفعات لمدة طويلة، حتى أن السوريين أنفسهم يتكلمون، في القرى والدساكر، عن عدم اكتراث الناس للموت وعدم ثقة الأهل بكلام المسؤولين عند سؤالهم عن مصير أبنائهم. ويقول البعض، بأن الرئيس الأسد لم يقبل بالانسحاب المتزامن، الذي كانت الولايات المتحدة وإسرائيل تطالبان به في اتفاقيات ١٧ أيار، لأنه لم يكن قد أنهى توزيع جثث الجنود والضباط الذين قتلوا، فكيف سيفسر موتهم، وقد يؤدي انسحابه بهذه الحالة لثورة داخلية لم تكن الولايات المتحدة ولا إسرائيل ترغبان بها يومها...

ثم كان ما كان، وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب، وتغيرت الحسابات، واختلطت الأوراق، وأطل بطل جديد على الساحة، فكانت حرب الخليج، وتأمل الناس بالحلول وبالسلم الآتي، يغدق الطمأنينة والرفاه، على أبناء هذه المنطقة، المحرومة منهما، والتائقة إليهما منذ سنين. وقد قبلوا بالتروي والانتظار ما دامت الحلول آتية فلما العجلة، ولما المزيد من التضحيات. ولكن سوريا التي كانت استراحت من الخسارة وبدأت تستطعم بلذة احتلالها لبنان والمكاسب التي لم تكن تحلم بها، سارعت إلى نسف هذا السلام الآتي باختراع شعار "السلام مع عدم التطبيع"، من جهة، وبإطلاق يد حزب الله في التخريب والفوضى و"البطولات المتلفزة"، من جهة أخرى، ما أدى إلى تعثر عملية السلام وتتالي المآسي على الشعب اللبناني؛ عناقيد غضب ويوم حساب وغيرها.. وجعله يدفع ثمنها من دم أبنائه، ويغلف قلوبهم بالحقد الأعمى، الذي زينته شعارات وحركات لم تنزل يوما مناً ولا سلوى، ولا أتت بأنهار العسل واللبن، بل بالبؤس والشقاء، بالحقد والعنف، التي لا تولد إلا القلق والخوف، والتشفي والحرمان، وهذه كلها أسلحة ونتاج لتلك، فمن يبذر الحقد لا بد له من أن يحصد الشقاء، لأن الخير لا يترافق والشر ولا يتعايش معه. وهكذا كان، فسقط لبنان في وحول الأشرار وشباكهم، وصار جزء من المتباكين على جوانب طرق الحياة. وقد سلبت الحرية من أبنائه وحل محلها الرأي الواحد، وطليت التعددية التي طالما فاخر بها بلون الصحراء المغبر الذي لا يشارك أي لون آخر، وعم الفقر بنيه. وسقط العدل، واستزلم القضاء، وضلع القادة والزعماء، وجف نبع العنفوان تحت أسواط التعذيب وفي أقبية الذل، التي كانت يوما فخر لبنان ورمز سيادته واستقلاله. وزاد في شقاء اللبنانيين أن سقوط الشرق لم يغير المعادلة، ولا غيرتها حروب الطوائف، إن في أوروبا، حيث سارع "الأطلسي" إلى حماية الأقلية المسلمة وتحصين سيادتها، أو في أندونيسيا حيث دعم العالم انفصال تيمور الشرقية واستقلالها، بينما أغلق عيونه عن حقوق شعب لبنان وترك سوريا تذيب استقلاله.

اليوم وبعد الأحداث الكبرى التي جعلت من الإرهاب عدو البشرية، وحرمت التعاون معه، ومساندته، فكيف بدعمه، وتغذيته؟ عاد الأمل من جديد إلى قلوب اللبنانيين، بأن الأمور إذا ما سارت في مسارها الصحيح، يجب أن تؤدي إلى ضرب الإرهاب، وساحته الكبرى لبنان، وقطع الأيدي التي تحميه، وهي سوريا، والتي تغذيه، وهي إيران. ومحور الشر هذا، كان قد برز دوره منذ سنوات، وأشير إليه بالأصابع والتقارير. وإذا بالإدارة الأمريكية، التي تربى بعض موظفيها على روائح وعطور البترول، وقد تغنوا بالنظريات والتحاليل "المثمرة"، تقف حائلا دون الحسم في هذا الموضوع، لا بل تتبنى الدفاع عن مواقف سوريا ووجودها في لبنان، بشخص ساترفيلد، الذي ساهم في تهجير أبناء الجنوب، مع لارسون، يوم غطيا عملية الانسحاب الإسرائيلي المذلة من جنوب لبنان، والتي كلفت إسرائيل وأمريكا سلسلة من الهجمات الانتحارية على شاكلة حزب الله المنتصر، وكلفت لبنان أن تتحكم به عصابات من الحاقدين، كجماعة السواطير أو دعاة الجمهورية الإسلامية على الطريقة الخمينية الرجعية، التي لا تليق حتى بالعرب الصحراويين، فكيف ستفرض على لبنان المتعدد الألوان والمتعمق في تاريخ المذهبيات ومشاكلها .

ويخاف اللبنانيون اليوم، وحتى بعدما بدأ ممثلو الشعب في طرح الأمور وبالطرق الديمقراطية، يخاف اللبنانيون، أن يؤدي تصلب موقف أحد الموظفين إلى شل مشروع قانون يسانده مئة وخمسون نائبا وثلاثون شيخا، من الديمقراطيين والجمهوريين، متكاتفين، وكأننا نشهد اليوم معركة حقيقية حول الديمقراطية في الولايات المتحدة، فإما أن تنتصر ويبقى الشعب الأميركي هو من يتخذ القرارات الكبرى، وإما أن ينجح الموظفون في شل الديمقراطية، ويبقى الإرهاب متحكما، كما هو في الشرق، في رؤوس الأمريكيين.

اللبنانيون يميلون إلى تبني النظرية الثانية، لأنهم اعتادوا حكم الأجهزة والرأي المفروض، ولكن هل إن الولايات المتحدة الملسوعة بضربة الحادي عشر من أيلول، ستقبل بالوصاية على ممثليها، وأن يفرض موظف رأيه، كما جماعة السلطة في لبنان أو سوريا ؟

لا شك بأن الوضع دقيق وتاريخي بالنسبة للبنانيين، ولكنه أيضا دقيق وأساسي بالنسبة للديمقراطية في الولايات المتحدة، ولا يجب أن نقلل من شأن هذا الموضوع، ومن وعي الشعب الأميريكي، الذي مل المسايرة والتلون، ولم يعد يقبل بأنصاف الحلول، ولا بشتاء وصيف على سقف واحد. فهل يكون قرار محاسبة سوريا بداية الحلول الآتية؟ أم صفحة مذلة في تاريخ الديمقراطية التي يتغنى بها الأمريكيون؟..